إزدواجية اللغة

للدكتور محمد راجي الزعول

جامعة اليرموك

تعتبر مشكلة ازدواجية اللغة العربية من اهم المشكلات اللغويـــة الاجتماعية التربوية التي تواجه الوطن العربي . ولطبيعة هذا الموضوع الحساسة من الناحيتين القومية السياسية والدينية فانه لم يلقَ عنايـــة موضوعية كافية،أو بحثا مستفيضا في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، خاصة التطورية والمقارنة منها . في هذا البحث سأتناول قضية الازدواجية بالتعريف، واربطها بالوضع اللغوي العربي، شارحا أربعة أنماط للعربية تحدَّث عنها الغربيون،وتبعهم العرب في الحديث عنها ؛ ثم فكرة الدعوة الى العامية،مبيّنا ثلاث مراحل تاريخية هامة لتطورها.ومن ثم سأناقش هـذا الوضع في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة،لاخلص بنتائج واقتراحات آمل ان تكون موضع المناقشة والتنفيذ . ونظرا لان جذور المشكلة تكمـــن في الاهتمام الذي ابداه الغربيون بها ، فسأورد في كثير من المواقع استشهادات مما قاله بعض مفكريهم في الجوانب المختلفة لهذه القضية .

ان كلمة « ازدواجية » ترجمة للاصطلاح الانجليزي "Diglossia" . يُعتَقَد ان اول من تحدث عن هذه الظاهرة هو اللغوي الالماني كارل كرمباخر

في كتابه المشهور **مشكلة اللغة اليونانية الحديثة المكتوبة** (١) عام ١٩٠٢، اذ تطرّق الى طبيعة هذه الظاهرة واصولها وتطورها ، واشار بشكل خاص الى اللغتين اليونانية والعربية، وخلص الى نتائج تفسر كثيرا من التطورات المتأخرة لبعض الدعوات في العالم العربي ، اذ اقترح على اليونانيين ترك « ازدواجيتهم الشرقية » واللحاق بالعالم الغربي، بتبني العامية لغة قومية، كذلك دعا العرب الى ترك فصيح لسانهم وتبنّي احدى اللهجات ــ مفضلا المصرية ــ لغة قومية . لكن الراي العام المقبول في ادب هذه الظاهرة اللغوية هو ان العالم الفرنسي وليم مارسيه اول من نحت هذا الاصطلاح (بالفرنسية La Diglossie) وعرّفه في مقالة تخص الازدواجية في العربية عام ١٩٣٠ بقوله :

« هي التنافس بين لغة ادبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث»(٢) وبعد ثلاثة عقود من الزمان ، وعلى جهة التحديد عام ١٩٥٩، وفي مقالة تُعَدّ من اشهر ما كتب عن الموضوع ــ لانه قلما تجد باحثا في الازدواجية لم يرجع اليها ــ قدّم اللغوي الامريكي شارلز فيرجسون هذا الاصطلاح الى الانجليزية، اذ بحث اربع حالات لغوية تتميز بهذه الظاهرة، وهي: العربية واليونانية والالمانية السويسرية، واللغة المهجنة في هايتي . كما قدّم فيرجسون تعريفه المعروف لهذه الظاهرة :

« حالة لغوية ثابتة نسبيا، يوجد فيها فضلا عن اللهجات الأساسية (التي ربما تضم نمطا محددا او انماطا مختلفة باختلاف الاقاليم) نمط آخر في اللغة مختلف ، عالي التصنيف (وفي غالب الاحيان أكثر تعقيدا من الناحية القواعدية) فوقي المكانة، وهو آلة لكمية كبيرة ومحترمة من الأدب المكتوب لعصور خلت، او لجماعة سالفة، ويتعلم الناس هذا النمط بطرق التعليم الرسمية ، ويستعمل لمعظم الأغراض الكتابية والمحادثات الرسمية، لكنه

لا يستعمل من قبل اي قطاع من قطاعات الجماعة المحلية للمخاطبة أو المحادثة العادية » (٣)

دعا فيرجسون هذا النمط « المرتفع » وهو الفصحى ، وقارن استعماله « بالمنخفض » وهو النمط العامي واعطى نموذجه التالي لاستعمالات كل منهما لتوضيح الفروق المذكورة : (٤)

الحالة	عال	منخفض
١ ــ الوعظ في المسجد (أو الكنيسة)	×	
٢ ــ التعليمات للخدم والعمال والكتبة		×
٣ ــ الرسائل الشخصية	×	
٤ ــ الخطبة في مجلس الأمة ، الحديث السياسي	×	
٥ ــ محاضرات الجامعة	×	
٦ ــ الحديث مع الأصدقاء والزملاء وافراد العائلة		×
٧ ــ اذاعة الأخبار	×	
٨ ــ التمثيليات الاجتماعية في الاذاعة		×
٩ ــ افتتاحية الصحف ، أخبار الصحف والعناوين	×	
١٠ ــ التعليق على الكاريكاتير		×
١١ ــ الشعر	×	
١٢ ــ الأدب الشعبي		×

ويمضي فيرجسون في المقالة نفسها ليتنبأ بما ستكون عليه الحالة اللغوية في اللغات الأربع المذكورة بعد القرنين القادمين وعلى وجه تقديره عام ٢١٥٠ . والجزء الخاص بالعربية جدير بالذكر هنا ، ويفسر لنا أيضا بعض الاتجاهات والدعوات في العالم العربي . يتوقع فيرجسون أن يكون هناك تقدم بطيء نحو تطور مجموعة من الانماط اللغوية يرتكز كل منها على

احدى العاميات مع مزيج مركز من مفردات الفصحى . وهناك بناءً على توقعه ثلاثة انماط رئيسية : أولها العربية المغربية،وترتكز على عامية الرباط أو تونس ؛ وثانيها المصرية،وترتكز على عامية القاهرة ؛ والثالثة ما أسماه المشرقية،وترتكز على عامية بغداد . ويضيف فيرجسون مكملا توقعاته انه بناء على تطورات سياسية واقتصادية غير متوقعة،فلربما نشأ نمط جديد للعربية في سوريا،مرتكزا على عامية دمشق،وآخر سوداني يرتكز على عامية أم درمان أو الخرطوم ، أو انماط اخرى على حد قوله . (٥)

ودعا فيرجسون في ختام مقالته المختصين لدراسة هذه الظاهرة بشكل أوسع،وقد تم ذلك بالفعل،وخاصة بين علماء اجتماع اللغة . يقول دل هايمز (٦) اللغوي الاجتماعي الأميركي تعليقا على مقالة فيرجسون إن الازدواجية مثال ممتاز لتعايش نظامين غير متبادلي الفهم (ويقصد هنا الفصحى والعامية،وصعوبة فهم الفصحى على العوام) وترابط كل من هذه الأنظمة بمفاهيم وقيم مختلفة ، وكمثال لضرورة الرجوع الى الجماعة المحلية للتحكيم لتجنب اي تحريف أو تشويه قد ينشأ بحالة الاتصال . وكذلك تعرّض لهذه الظاهرة بالدرس كل من جمبيرز Gumperz وفشمان Fishman ؛ فقد أضاف جمبرز في أعماله الكثيرة ذات العلاقة بهذه الظاهرة (٧) أن الازدواجية ليست حصرا في المجتمعات المتعددة اللغات، التي تعترف رسميا بعدة لغات ، ولا في المجتمعات التي تتكلم أنماطا عامية وفصحى،ولكن في المجتمعات التي تستخدم لهجات منفصلة ، أو أساليب مختلفة،أو اي أنماط أخرى تخدم وظائف مختلفة . كذلك بحث النماذج الاجتماعية التي تحدد استعمال نمط دون آخر . أما فشمان (٨) فقد لخّص ما قدّمه لدراسة هذه الظاهرة بأنه تناول استمرارية الازدواجية وتحليلها على المستوى القومي والاجتماعي . وحاول ربط الازدواجية ببعض الاعتبارات النفسية وما يختص منها بثنائية اللغة bilingualism

بشكل رئيسي،ودرس نماذج من الجماعات التي تتميز بالازدواجية والثنائية، وبالازدواجية دون الثنائية،وبالثنائية دون الازدواجية ، والجماعات التي لا تعاني من الازدواجية أو الثنائية . وقبل سنوات قليلة ، تناول الن كي(٩) A. Kaye تعريف الازدواجية بشكل مختلف،اذ انتقد تعريف فيرجسون لها،ووصفه بأنه « انطباعي »،ونظر الى وضع الازدواجية كوضع لا يميل الى الاستقرار والثبات كما فهمه فيرجسون ؛ كذلك فهم الفرق بين النمطين الأساسيين للعربية الفصحى والعامية بأنه الفرق بين نمط معرف " well defined " ، وهو العامية،وغامض التعريف " ill defined " وهو الفصحى . فالعامية في رأيه نمط معرف ، لأن الطفل يتعلمها لغة أولى،أما الفصحى فانها نظام غامض التعريف لأنها لا تكتسب لغة أولى،بل يتعلمها الطفل فيما بعد في المدرسة . وفي اعتقاده انه لوجود تفاعل مستمر بين النظامين ، لا يمكن أن نستنتج بأن الوضع الازدواجي يميل الى الثبات ، بل على العكس هو متغير .

- لقد اعتُبر الوضع الازدواجي في اية لغة انه يشكل عوائق مختلفة للناطقين بتلك اللغة ؛ كما اعتبره الكثير من الباحثين عائقا للتعليم وللتطور التربوي والاقتصادي والتماسك القومي . يقول الباحث سوتيرو بولص(١٠) الذي تناول بالتفصيل الوضع القائم باليونان،حيث كان لأمد قصير التنازع بين الفصحى والعامية كلغة للبلاد (لقد حلت المشكلة في اليونان قبل بضعة اشهر بتبني العامية « ديموتيكا » لغة رسمية للبلاد،وترك الفصحى « الكاثارفوسا » بناء على قرار حكومي) في وصف انعكاسات الازدواجية اللغوية .

... « وان تكن الازدواجية ، وبشكل موضوعي ، أداة بارعة للضرورة،فانها من وجهة النظر الاقتصادية والتماسك القومي وفعالية

التعليم والاتصالات وأجهزة الاعلام لعائق . بالاضافة الى ذلك ، اذا اعتبرنا إن وظيفة اللغة ليست للاتصال وحسب، وحقيقة أن اللغة تخدم احتياجات الشخص والمجتمع العاطفية والمعرفية والنفسية ، فان وجود الازدواجية في الجماعة اللغوية لذو آثار محددة، بل معقدة لقوتها التعبيرية . الازدواجية رمز وتذكرة للصراع الاجتماعي ونقص التماسك الاجتماعي ».

هل يُصدُق هذا على العربية ؟ ان كان الحال كذلك فكيف الطريق لتجنب تلك العوائق ؟ هل للعربية وضع خاص يختلف عن غيرها من اللغات ؟ سأحاول الاجابة عن هذه الاسئلة بعد أن أحدد المشكلة في سياقها العربي . لذلك سأبدأ ببحث أربعة أنماط للغة العربية ، يعرف منها العرب الفصحى والعامية ؛ أما النمطان الآخران فقد ابرزهما كتّاب غربيون أو عرب تعلموا بالغرب وبأمريكا خاصة . ولو وضعنا الأنماط الأربعة على خط مستقيم لوجدنا الفصحى على طرفه الأيمن ، والعامية على طرفه الأيسر، وقارب كل من النمطين الجديدين أحد الطرفين . والانماط الاربعة هي العربية الفصحى ، العربية الحديثة ، عربية المثقفين والعامية . سأبحث تلك الأنماط مبينا بعض الاتجاهات نحو الأنماط، مناقشا ومبيّنا بعض آراء الدارسين الغربيين لظاهرة الازدواجية في اللغة العربية .

١ ــ العربية الفصحى، وهي ما يسميه الغربيون Classical Arabic أو Fusha Arabic. وما سماه فيرجسون بالنمط العالي أو « المرتفع » .

الفصحى بالدرجة الاولى هي لغة القرآن ولغة الاسلام، وهي الوسط الذي انتشر به الاسلام دينا وثقافة . والعلاقة بين العربية الفصحى والاسلام علاقة عضوية حميمة . قال تعالى : « انا انزلناه قرآنا عربيا »، وقال « بلسان عربي مبين » . ولا غرو أن يكون هذا السبب الأول في

احتفاظ العرب على اختلاف مآربهم واهوائهم عبر التاريخ ورغم كل ما بذله الغازون والمستعمرون عبر التاريخ العربي الاسلامي من جهد في سبيل تحويرها او تحريفها او ابدالها بلغة اخرى . ولا بد من نظرة عميقة في هذه العلاقة بين العربية والاسلام التي تنعكس في آراء المسلمين في بلاد منها الصين وبورما وافغانستان وروسيا السوفيتية وغرب افريقيا وفي آراء ومعتقدات العرب منهم خاصة حتى ندرك قيمة هذه اللغة ومدى تمسك المسلمين بها . وقد حاول عدد من المفكرين المسلمين أن يشرحوا او يبينوا هذه العلاقة وللفكر الغربي بالذات ، وللمستغربين في تفكيرهم . فعلى سبيل المثال يقول الشيخ عناية الله الاستاذ في جامعة البنجاب في مقالة نشرتها مجلة Islamic World في توضيح هذه العلاقة (١١) :

« العربية ذات اهمية عظمى كونها اللغة الدينية للمسلمين الذين يكوّنون خمس الجنس البشري ... ويتم التأكيد في القرآن الكريم مرارا وتكرارا على حقيقة ان كلمة الله قد أوحي بها باللسان العربي . ومن طرف العالم الاسلامي الى الطرف الآخر ، ومهما كانت لغة المسلم سواء كانت بربرية أم حوساوية ام بشتو ام فارسية ام تركية ام جاوية ام ملاوية، فان الصلوات تقام خمسة اوقات بالعربية يوميا . أما الكلمات الأساسية في العقيدة الاسلامية ــ لا اله الا الله محمد رسول الله ــ فانها تهمس في اذن الوليد ومن بين أولى الجمل التي يعلم الطفل أن ينطق بها ، وينبغي ان تكون هي الكلمات الاخيرة على شفاه الميت » .

ويستطرد الشيخ عناية الله :

« بدون العربية يكون فهم الاسلام ناقصا ولاي فهم للأفكار المؤثرة بطريقة حياة المسلمين وعقائدهم التي يعتبرونها اكثر الاشياء قدسية ومبادىء دينهم واخلاقهم التي ينشأون عليها ، علينا ان نعود للعربية

فهي الأداة الأصيلة لكل العلوم الدينية في الاسلام » .

من هنا نبع الاعتقاد بقدسية اللغة العربية بشكلها الفصيح،وقد اثر هذا الاعتقاد تأثيرا واضحا باتجاهات العرب نحو لغتهم . يقول انور شحنة (١٢) في كتابه المعروف في الغرب عن اللغة العربية واهميتها في التاريخ واصفا اثر هذا الاعتقاد :

« ان الايمان بقدسية القرآن فيما يتعلق بمعانيه وكلماته،وحتى ادق تفصيلاته،اصبحت تشمل وتحتوي اللغة العربية بكليتها . ان مسألة كون العربية اعطية الله - وبناء عليه فهي فوق اللغات جميعا بجمالها وثروتها ونبلها - قد استحوذت بعمق على اهتمام وتفكير فقهاء اللغة ومشرعي الاسلام والفلاسفة والفقهاء وغيرهم » .

ان ما لا يفهمه الغربيون والمستغربون من اعداء امة العرب هي هذه العلاقة العضوية الحميمة بين الاسلام والعربية،وما لها من انعكاسات على تفكير المسلمين ، ومنزلة هذه اللغة بانفسهم . وعلاوة على ذلك كله ما تركته هذه اللغة من آثار على استمرار الخط الحضاري المتماسك للعرب والمسلمين . فبالاضافة الى كونها لغة الاسلام ، فقد كانت اللغة التي سُجّلت بها الحضارة العربية الاسلامية وحُفظت . ولا نستطيع ان نعطى هذه النقطة حق قدرها الا اذا امعنا التفكير فيها،ووضعنا الفرضيات المختلفة فيما لو كان الحال غير ذلك . دعني هنا اقتطف بعض ما قاله المستشرق كاشيا في تبيان توضيح هذا الأمر ؛ يقول كاشيا :

« فوق ذلك كله فان الفصحى هي مفتاح تلك الكنوز الضخمة من الماضي ... ثباتها لم توازه اية لغة،وفي هذا اليوم يستطيع اي عربي في المرحلة الثانوية من تعليمه ، ان كان مهتما وقادرا على بذل قليل من الجهد، ان يعبر الى (ويكون في متناوله) السجل الكامل للألف وثلاثماية عام

الماضية » (١٣)

هل يستطيع الانجليزي أو الفرنسي أو الاسباني عمل ذلك ؟ هل يستطيع التركي أو الطلياني عمل ذلك ؟ هل يستطيع أي شاب من تلك الجنسيات أن يقرأ تراث أمته كما كتب لفترة ما قبل الف عام مثلا ؟ وحتى خمسماية عام ؟ تتمنى الأمم أن يكون ابناؤها قادرين على دراسة تراثها لهذه الفترة الزمنية . ان الانجليزي، على سبيل المثال، لا يستطيع أن يقرأ أي شيء من تراثه بشكله الأصلي مما يزيد تاريخه على خمسماية عام، وحتى ذلك من الصعوبة بمكان . اننا لن نستطيع ادراك اهمية ذلك الا اذا أدركنا قيمة الاستمرارية الحضارية على المستوى الانساني وبشكل شامل .

بالاضافة الى هذه العلاقة مع الاسلام فان علاقة العربية بالقومية العربية والوحدة العربية ليست أقل من ذلك بمكان ؟ فهي عماد القومية العربية، واحد اهم مكوناتها، كما أوضح ذلك عدد كبير من كتاب العالم العربي وادبائه، من بينهم ساطع الحصري في معظم كتاباته في هذا الميدان . (١٤) كذلك ما زالت العربية بشكلها الفصيح اكبر قوة موحدة في عالم عربي تتنازعه قوى التفتت، بعد الاسلام . وهنا أود أن أقتطف بعض ما قاله الأستاذ السابق في الجامعة الأميركية في بيروت ريتشارد يوركي في مقدمة لمحاضرة القاها في قاعدة لاكلانز الجوية الأميركية، بمجموعة من العسكريين الاميركيين الذين يدربون مبعوثي بعض الجيوش العربية في أميركا . يقول يوركي :(١٥)

« وعلى اختلاف تلك الدول وتشعبها ، هناك قوة موحدة عظيمة واحدة : العربية الفصحى ؛ هذاالنمط من العربية الذي تحمّل وثبّت لالف وخمسماية عام خلت ، والذي يعتبر لغة القرآن المقدسة، ويحترم تراثه الادبي الهائل . بشكل رئيسي ، لم تتغير هذه النوعية من العربية منذ عهد محمد، وهي تراث عام يوحد جميع العرب : ذلك العربي الفرنسيّ

الثقافة في المغرب ، وذلك الكاتب الانجليزي التعليم في فلسطين، وذلك البدوي الذي ما زال متنقلا في الحجاز ، جميعهم يتقاسمون احتراما شبه أسطوري لفصاحة ومرونة العربية، وبشكل خاص ما دعاه المستشرق البريطاني جب « لغة الأدب الثمينة، والمزينة بخيال غالبا ما يكون ساحرا ومترامي الاطراف » .

بالرغم من تلك الوظائف التي تؤديها، وأدّتها، العربية الفصحى ، الا انها وصفت وتوصف من قبل أبنائها أحيانا واعدائها احيانا اخرى بالجمود والاصطناعية والصعوبة المتناهية، خاصة من قبل الداعين الى العامية .

كذلك يعتبرها عدد من الباحثين لغة « غير طبيعية »، لأنه ليس هناك من يتعلمها لغة أولى، بل يتعلمها الطفل لغة ثانية في المدرسة . وهذا الكلام ، ولا شك ، نابع عن جهل، اذ ان الكثير من اللغة العربية الفصحى يتعلمه الطفل اثناء اكتسابه لعاميته . أما صعوبتها وصعوبة تعلّمها فيتذرع الداعون لذلك بصعوبة نحوها الذي كتب قبل ما يقارب الف عام، وقلما تغيّر بعد ذلك . بالرغم من ذلك فانه يشهد لها كواحدة من أغنى ، ان لم تكن أغنى ، لغات العالم بمفرداتها. ورغم أن فيرجسون، في مقالة ثانية عما دعاه خرافات عن اللغة العربية، يدرج هذه كاحدى الخرافات، الا انه يدعمها كحقيقة بقوله إن ذلك ناتج عن الاستمرار الطويل في استعمال الفصحى، ودوام اثرائها من اللهجات وطرق النحت الاخرى . (١٦)

٢ ــ العامية أو المحكية أو الدارجة، وهو النمط الذي يسميه الباحثون الغربيون Colloquial Arabic او Spoken Arabic .

في الكثير من الأبحاث المنشورة عن العربية ، هناك تركيز على الفكرة القائلة بأن اللهجات العامية تطورت عن الفصحى، بعد اتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية، واتصال الشعوب العربية بشعوب أخرى

بالاضافة الى توزيعهم الجغرافي . لا داعي هنا لمناقشة هذا الراي ، لكن هناك الكثير من الدلائل التي تشير الى أن اللهجات العربية قديمة قدم اللغة العربية نفسها،وما الفصحى مقارنة بتلك اللهجات الا لغة أدبية مشتركة،كتّب بها الشاعر الشمالي والجنوبي والشرقي والغربي،على اختلاف لهجاتهم المحلية تبعا لاختلاف لهجات قبائلهم .

كذلك كانت هذه اللغة الأدبية هي أداة التفاهم في اللقاءات والأسواق الادبية . يخلص الدكتور محمود حجازي في كتابه "اللغة العربية عبر القرون" (١٧) الى نتيجة أنه انطلاقا من وجود هذه اللغة الأدبية فانه « من الطبيعي أن يكون القرآن الكريم بلسان عربي مبين »،وأن لا يكون محليا في التعبير بلهجة ما،بينما الاسلام دعوة الى تجاوز المحلية القبلية الى أفق عالمي أرحب . وقد اعتبر عدد من الباحثين أن هذه اللغة الأدبية هي لهجة قريش،وقد تبنى من بين المحدثين الدكتور صبحي الصالح في كتابه « دراسات في فقه اللغة » وجهة النظر هذه ودافع عنها . (١٨) بالرغم من ذلك فان اللغويين العرب لم يبدوا اهتماما باللهجات ودراستها ؛ ومردّ ذلك غلبة التشابه بين هذه اللهجات من جهة،وبينها وبين اللغة الأدبية من جهة اخرى،وسهولة التفاهم أو وجود ما يسمى بالنظرية اللغوية الحديثة « الفهمية المتبادلة » (Mutual intelligibility) بين هذه اللهجات واللغة الأدبية . بالرغم من عدم الاهتمام الفائق ذلك،فان هناك اشارات للمزايا البارزة لكل من هذه اللهجات واختلاف بعضها عن بعض ، اورد الكثير منها ابن جني في الخصائص (١٩) . ومن الطبيعي أن يكون التركيز على المزايا البارزة،وخاصة في حقل الأصوات،وهو حقل يثير الاهتمام والملاحظة . وجملته المشهورة تلخص بعض الخصائص البارزة لتلك اللهجات حين قارنها بلهجة قريش « فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة،وكسكسة هوازن،وتضجع قيس،وعجرفية

ضبة، وتلتلة بهراء » ، كما ورد المزيد منها في المزهر (٢٠) كالفخفخة في لغة هذيل، والعجعجة في لغة قضاعة، وشنشنة اليمن، ولخلخانية اعراب عمان، وطمطمانية حمير ... الخ .

لكنه باتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية، ومخالطة الاعاجم، والاتصال بلغات مختلفة ومتعددة الأصول والفروع، أخذت الفوارق تزداد بين تلك اللهجات من جهة، وبينها كمجموعة وبين الفصحى من الجهة الأخرى . وبالرغم من اتساع الفوارق، الا أن انتشار الفصحى لم يتوقف، اذ كانت هي الأساس، وأصبحت لغة العلم والسياسة والابداع والتاليف والترجمة فيما بعد . ثم أخذت في الركود في العصور المتأخرة، حتى كان الحكم العثماني ومحاولات التتريك، ثم الاحتلال الفرنسي ومحاولات الاحتواء والضم بالقضاء على العربية ، والاحتلال الانجليزي ومحاولات التجزئة بضرب الفصحى . وهكذا زاد اتساع الشقة بين اللهجات والفصحى بزيادة استعمال اللهجات، وقلة استعمال الفصحى، حتى وُصف بعضهم الفصحى بانها لغة ثانية ، وأصبح الاعتقاد الشائع أن الفهم المتبادل بين اللهجات ضعيف .

ينظر العربي بشكل عام للهجته بالنسبة للفصحى على انها ليست ناقصة وحسب، بل انها تشويه للغتنا المقدسة ، لغة الفصاحة والأدب. وقد وُصفت العاميات بأقذع الألفاظ من قبل الأدباء والكتاب العرب، فهي مصاحبة للجهل والسوقية، كما قال عبد الملك (٢١) لغة السكارى والخدم ... فوضوية ولا قواعد لها، كما يقول مبارك (٢٢) علامة للجهل والامبريالية، كما يقول ناصيف (٢٣) ، لا تستحق أن تسمى لغة، ولا تلائم أهداف الحياة الثقافية، كما يقول طه حسين (٢٤) ، ينشرها ويحبذها الأميون، كما يقول فهمي (٢٥) ... الخ . وبعض هذه الاوصاف مبالغة في الاتهام وتنقصه العلمية ؛

فللعامية قواعد، وتستطيع كتابتها ان كان ذلك ذا جدوى؛ وهي تميل الى التبسيط في النحو، اذ تلغي الحركات وتقلّ الأوزان والتمييزات ؛ ولكن هناك اسسا أمتن من ذلك للحكم على العامية وتفضيل الفصحى . وبالرغم من هذه الاتجاهات السلبية نحو العامية في العالم العربي، فان العامية تقوم بوظائف جديدة في عالمنا، ربما تستمر ولردهة من الزمن، وذلك لارتفاع نسبة الامية . يقول صالح الطعمة في كتاب نشرته جامعة هارفارد في أميركا واصفا هذه الوظائف (٢٦) :

« ان تطور اشكال جديدة من الادب والدراما، والاستعمال المكثف لوسائل الاعلام، قد زود العامية بوظائف مهمة في بعض الحالات، كما في الفنون المحلية، كالأغاني، والسينما، فانها تخدم كلفة اساسية . وفي اشياء اخرى، كالدراما والقصص، فقد أخذ استعمال العامية يزداد ويركّز عليه، وخاصة في الأعمال الموجهة للمشكلات الاجتماعية » .

لا شك في ان العامية تميل الى التبسيط، وخاصة في القواعد؛ اذ على سبيل المثال تختفي صيغة المثنى تقريبا، وينقص عدد الضمائر ، وتختفي معظم أوزان الجمع، وصيغ الأفعال، وكذلك تختفي حركات الاعراب . . . الخ. لكن هذا التبسيط هو ولا شك على حساب القدرة على التعبير، ويتناسب طرديا مع تضييق الآفاق لا توسيعها. كذلك فان العامية قاصرة عن ان تفي بالتعبير عن الامور الثقافية والفكرية والفلسفية ؛ وعلى المتكلم في هذه المواضيع أن يعود الى الفصحى ليمزجها بتراكيب العامية، ان اراد التعبير عما يقول بشيء من الدقة .

هناك بين هذين النمطين، الفصحى والعامية ، نمطان آخران من ابتداع دارسي العربية والمهتمين بالظواهر اللغوية في الغرب؛ وهما ما يسميان بعربية المثقفين Educated Arabic والعربية الحديثة

. Modern Standard Arabic (M.S.A.)

٣ ــ عربية المثقفين Educated Arabic . عربية المثقفين اسم جديد لنماذج العاميات الاقليمية، وداخل الاقليم الواحد، مع الفصحى في كلام المتعلمين من اقليم عربي واحد، او من أقطار عربية مختلفة حينما يجتمعون . وقد قام بدراسة تحليلية لهذا النمط عدة باحثين، أخص بالذكر منهم ثلاث دراسات قام بها «حاييم بلانك»(٢٧) عندما حلل كلام أربعة من الطلبة العرب القادمين الى امريكا (١٩٦٠) ؛ وشعبان (٢٨) الذي حلل كلام ستة من الطلبة العرب (لبناني ، وسعودي ، وعراقي ، وعماني، وتونسي)؛ وزغول (٢٩) الذي حلل كلام عشرة من الطلبة العرب (سعودي ، ومصريان ، وعراقي ، وجزائري ، وأردنيان ، وسوداني ، وعماني ، ومغربي) .

اتفقت نتائج هذه الدراسات الثلاث على أن ترتيب الكلام يبقى عاميا؛ كذلك يبقى النحو والصرف عاميا، ولكن هناك ميلا لاختيار الألفاظ من الفصحى؛ كما أن هناك ميلا لاستعمال أصوات الفصحى، وخاصة الصحيحة منها . لكن هناك انتقالا للاصطلاح الاجنبي في كثير من الأحيان . ان هذا النمط خليط من العامية وبعض جوانب الفصحى، لكنه يبعد عن الفصحى كثيرا . يقول بلانك مثلا في ختام دراسته :

« انه الاستثناء وليس القاعدة أن تجد اي كلام متواصل في اي من الأنماط المشار اليها (الفصحى أو العامية) ؛ اذ يميل المتكلم الى التنقل من نمط لآخر، وفي داخل الجملة الواحدة » .

ويستنتج شعبان : « تبقى عربية المثقفين بغالبيتها تحت سيطرة العاميات وخصائصها، خاصة في مجالي الأصوات والقواعد ؛ والركون الى الفصحى يعتمد على الموضوع المثار، وبلد المتكلم، ومعرفته باللهجات

الأخرى » .

٤ ــ العربية الحديثة او ما يسمى في الغرب Modern Standard Arabic (MSA) او Neo-Classical Arabic .

لقد تطور هذا النمط من العربية بنمو الصحافة وتطورها وانتشار وسائل الاعلام ؛ ويقصد به تلك النوعية من العربية التي تكتب بها الصحف وتذاع بها نشرات الأخبار والبرامج الثقافية في الاذاعة والتلفاز . يختلف هذا النمط قليلا عن الفصحى ، وما هو الا تبسيط للفصحى من بعض الجوانب،وذلك ليكون الكلام مفهوما لأي عربي يجيد القراءة والكتابة . وهذا كذلك ما سماه الأدباء العرب قبل حين « لغة الجرايد » . للمثقف العربي ليست هناك فروق واضحة ، اذ ما تزال أصوات الفصحى نفسها تستعمل وكذلك قواعد النحو والصرف نفسها .

والفرق الوحيد الذي يستحق الذكر هو الميل الى استخدام الشائع من الالفاظ والبعد عن الاغراب ، والمرونة الزائدة أحيانا تجاه استعمال العبارات المترجمة (مثل يلعب دورا هاما ، في الجانب الآخر ، الخ) والالفاظ المستعارة من اللغات الأجنبية .

ان مفهوم ما يسمى بالعربية الحديثة غريب عن العالم العربي؛والكل يفترض ان هذا النمط هو الفصحى بعينها. ومن غير المتخصصين الذين تلقوا تعليمهم في بريطانيا أو اميركا ، هناك القليل ممن يعلمون بوجود هذا النمط إن وجد فعلا . بالرغم من ذلك فان بعض الباحثين قد بالغ في تقدير هذا النمط خطوة نحو تحديث العربية وتسهيلها. وآراء الباحث جارسلوف ستيتكيفتيش (٣٠) التي ضمنها في دراسة من أوسع الدراسات عن العربية الحديثة،والتي نشرت في كتاب في الانجليزية،جديرة بالعرض والتمحيص لاهميتها وحتى خطورتها في بعض الأحيان . يقول ستيتكنفتش في خلاصة

كتابه عن هذا النمط من العربية (٣١) :

« ان المفهوم الخادع بأن هذا النمط من العربية غير مطعم لموجود ؛ اذ نادرا ما سيكون القاموس ذا فائدة في تتبع آثار الابتعاد عن الفصحى . والتوسعات في المعنى الواردة واسعة وشفافة لدرجة أنها لا تعيق استيعابا مرضيا . توسيع الصفات يدعمه السياق التشبيهي ، والانطباع العام هو ان تلك لغة واضحة ودقيقة بحيث لا يتردد الشعراء والكتاب في استعمالها ، ونادرا ما يركز النقاد على خصائصها . وفي الحقيقة فان الانطباع المتزايد هو أنه لا يبدو ان هناك ما يميز ما يختص بهذا النمط . وهي ليست « بلغة الصحفيين » كما كانت تسمى قبل خمسين عاما . كذلك فانها ليست اختراعا جديدا أو صرعة . لقد غمر الوضوح الطبيعي في هذا النمط المصطلح المستعار، حتى أصبح من الصعب التمييز بأن هذا النمط غريب او خارج عن العربية الفصحى . وفي الوقت نفسه فان قليلا من مستعملي هذا المصطلح العربي الجديد يعلمون مدى قربهم من آفاق لغوية جديدة . يستطيع المترجمون الآن دون عناء ، وبسهولة فياضة أن ينقلوا العربية المعاصرة للغات الحديثة الأخرى، والعكس بالعكس .

كذلك تظهر المحبة والالفة اللغوية على التباين الذي ساد سابقا . كذلك يجد العرب اللغات الأجنبية أسهل، والآخرون يرون العربية أسهل كذلك » .

ويمضي ستيتكيفتيش بعيدا في استنتاجاته ليصل الى نتيجة أن قواعد اللغة العربية الحديثة لم تبدأ بالابتعاد وحسب عن العربية الفصحى ، لكنها بدأت تتسبب في غربنة ديناميكية التفكير في العربية ؛ وأن العربية كلغة قد تعدت حدودها من الوجهة السلالية، من لغة سامية لتدخل مجموعة اللغات الاوروبية الحديثة الفوق سلالية . ونتيجة ستيتكيفتش

التي ينهي بها كتابه جديرة بالتمحيص، خاصة من الهيئات المشرفة على التخطيط اللغوي في العالم العربي . يقول ستيتكيفتش : (٣٢)

« من خلال مفرداتها (الغربية) الجديدة ، وسياق صقل التفكير الذي تقوم به المفردات ، وأخيرا وليس آخرا من خلال تلك الثروة العظيمة والتنويع لتلك النماذج الإصطلاحية المستوعبة، وأشباه الجمل الأدبية المستعارة، فان العربية الحديثة قد تعدت حدود سلالتها النسقية، وانها قد دخلت بصلة الفة مضمارا لغويا حضاريا مع عائلة جديدة فوق سلالية من اللغات الأوروبية الحديثة . اما عملية استيعابها في الغرب فقد بدأت حديثا، لكن تهيئتها ثابتة وخطاها بالطبع سرية . تستمر العربية الحديثة من ناحية صرفها لغة سامية، والى حد بعيد ما زالت الفصحى في هذا المجال؛ لكن بقاءها ضمن هذا التعريف سيكون غلطة . فجلّ تركيب نحوها الآن يتمشى مع ديناميكية تفكير غير سامية الى حد بعيد . فالعقل العربي الحديث يتحول الى فرع للعقل الغربي الحديث، ويحتفظ بالقليل القليل من صلابة ديناميكية التفكير السامية . والعقل العربي الحديث يتحول الى استمرار للعقل الغربي، ولهذا فانه يحتفظ بالقليل من عادات التفكير السامية المتصلبة، وكذلك بالقليل من القوالب الكلاسيكية والخصائص التركيبية، وان روحا لغوية ثقافية حديثة مشتركة تتطور الآن لتكون العامل المعرف للعربية الحديثة » .

لا شك في أن ستيتكيفتش يبالغ في نتائجه بتأثير اللغات الأوروبية على العقل العربي، وطريقة التفكير العربية من خلال التأثير اللغوي، لكن تلك الاستنتاجات لا تخلو من الكثير من الصحة . يعارض هذا الرأي لستيتكيفتيش نجم بزرقان، أستاذ الأدب العربي والفلسفة السابق في جامعة تكساس بأميركا، في مقالة له اذ يقول بأن هناك تيارا جديدا في الكتابة العربية

وهو يمثل الميل الى الكتابة بأسلوب مشابه لأساليب الكتّاب العرب في الفترة الوسطى . ويستشهد بزرجان بكتابه **مصير** لسركيس وكتاب **عبد الله** لكرم كأمثلة لهذا التيار . كذلك يقول بزرجان بأنه رغم التغييرات التي اعترت العربية الحديثة في نحوها واسلوبها فهي استمرار للفصحى، ولذلك فانها « تشهد بانتصار دعاة الفصحى على خصوم ابطال العامية في المعركة التي استعرت في نهاية القرن التاسع عشر، واستمرت للعقود الثلاثة الأولى من القرن الحالي » . (٣٣)

ان الجانب التاريخي لقضية الازدواجية يقدم بعض العمق لتفهم تلك المشكلة وجوانبها المختلفة . كذلك فان هذا الجانب يقدم تفسيرا للكثير من الدوافع لبعض الدعوات في العالم العربي . وفيما يلي سأعرض لما اسميته مراحل **ثلاثا** لهذا التطور التاريخي .

١ — مرحلة الاهتمام الغربي

كان أول من ابرز الفصل بين العامية والفصحى بعض المدارس الأوروبية التي اسست برامج لتدريس العامية فيها .

لقد بدأت تلك البرامج في ايطاليا عام ١٧٢٧ — مدرسة نابولي للدراسات الشرقية — وفي النمسا عام ١٧٥٤، وفي فرنسا عام ١٧٩٥، وفي روسيا عام ١٨١٤، وفي بريطانيا عام ١٨٥٦. وقد استخدمت تلك المدارس عربا لتدريس العامية وكتابة قواعدها . اما الأوروبيون الذين عاشوا في العالم العربي، وهم موظفو الاستعمار البريطاني والفرنسي في البلاد العربية، فلم يخفوا كيدهم للفصحى ابدا ؛ وقد أبدوا اعجابهم بالعامية، وقاموا بحملات صليبية لاظهارها واحلالها محل الفصحى . من اشهر هؤلاء مهندس الري البريطاني وليم ولكوكس . في سلسلة من المحاضرات والمقالات نُشر بعض منها في مجلة الازهر ، شنّ ولكوكس هجوما لا مثيل له على الفصحى في

اشهر اثنتين من محاضراته : واحدة بالعربية « لماذا لم يكن للمصريين قوة الاختراع »والثانية بالانجليزية وعنوانها « سوريا ومصر وشمال افريقيا ومالطا يتكلمون القرطاجية لا العربية »عزا فيهما ولكوكس اسباب تأخر المصريين،ونقص الاختراعات عندهم،وقلة الأصالة في تفكيرهم،الى استعمال الفصحى التي نعتها بأنها لغة ميتة .

أما القاضي ويلمور فقد جدد الدعوة لتبنّي العامية وكتابتها بالحروف اللاتينية . وتعاقب كثيرون بعد هؤلاء . (٣٤)

٢ ــ مرحلة الاقليمية ردا على القومية العربية

بعد ثورة عام ١٩١٩ في مصر ، برزت مجموعة من الكتّاب يدعون لما نسميه الفرعونية المصرية،أو الاقليمية الضيقة،ولم يكن الاستعمار البريطاني مشجعا للفكرة وحسب،بل متبنيا لها . وقد علق محمد حسين على هذه الحركة بأنها حركة استعمارية انفصالية كان وراءها الانجليز (٣٥) .

وقد دعت هذه الحركة الى «مصرنة» اللغة والفن والادب،واستعمال العامية المصرية كوسط لهذه الاشكال الادبية . في هذه الفترة دعا احمدلطفي السيد الى ما أسماه « التسامح اللغوي »وما قصده بذلك هو اصلاح الفصحى باستعمال الفاظ من العامية،بالاضافة الى الالفاظ المستعارة الاخرى في الكتابة (٣٦) . أما محمد تيمور وسلامة موسى فقد دعوا الى النهوض بالعامية لتكون لغة قومية . وفي تلك الاثناء وفي عام ١٩٤٣ فاجأ عبد العزيز فهمي مجمع اللغة العربية بالقاهرة باقتراحه أن تكتب العربية بأحرف لاتينية ؛ لكن هذه الدعوة التي سبقه اليها سلامة موسى ماتت بموته .

ومما يثير الاهتمام هنا هو أن أي دعوة انفصالية اقليمية تتسلح

بسلاح تجزئة اللغة العربية بالدعوة الى استعمال العامية . وعكس ذلك، اي الدعوات الاتحادية التي يهمها أن تبقى على وفاق تام مع العروبة والاسلام، فاننا دائما نجد الدعوة الى وحدة اللغة احد اهم اركان الدعوة . ويصدق ذلك على أجزاء كبيرة حاول الاستعمار أن يقتطعها كليا من الوطن الام، اذ تعرضت لجميع صنوف الاضطهاد الفكري واللغوي والحضاري بقصد الضم الى الدول الاستعمارية ، الا وهي أقطار شمال افريقيا . وهذا تأييد مطلق للفرضية القائلة إن أولئك الذين يطمحون للانفصال يدعون للتجزئة، واولئك الذين يدعون للوحدة والتماسك يتمسكون بالعربية ووحدتها . يقول شحنه في بحث الوضع اللغوي في شمال افريقيا (٣٧) :

كان الاهتمام الشمال افريقي بالعربية يتركز على الاعتراف بها كلغة للشعب والدولة، ودون تأكيد على عمليتها كأداة للاتصال ؛ اذ أن عددا من قواد الحركات الاستقلالية كان أكثر طلاقة وقدرة في التعبير في الفرنسية لا بالعربية ــ وهذا الوضع كان محرجا لبعضهم ــ وقد قام أحمد بن بلّا رئيس الوزراء السابق للجزائر، بتأمين مدرس خصوصي في العربية حتى يستطيع استعمالها في جزائر مستقلة » .

لقد توقعت دول شمال افريقيا العربية أن تواجه صعوبات جمة في التعريب، وخاصة الجزائر وتونس ومراكش، لكن الجهود تظافرت وما زالت تتظافر بكل حيوية واندفاع نحو التعريب الشامل . يقول شحنه (٣٨) في هذا الصدد :

« لم تضعف جهود الشمال افريقيين في سبيل تحصيل تعريب تام وكامل . فحال حصول تلك الدول على الاستقلال أعيد تأسيس العربية كلغة رسمية وشعبية، واتّبعت جميع الطرق لاعادة حيوية اللغة، بتأسيس مدارس متعددة، وبنشر الدوريات والكتب . وفي السنوات القليلة الماضية أصبح

الشمال افريقيون واعين للمشكلة اللغوية، ودابوا في المحاولة لايجاد الطرق لحلها، كما يثبت ذلك المؤتمر العربي المنعقد في الرباط عام ١٩٦١ » .

وعلى النقيض من ذلك فان الطريق الى « غربنة » العرب تبدأ بكتابة لهجاتهم وتطويرها، أو ما يسمى « النهوض بها »، الى لغات قومية . ومن اروع الأمثلة لمثل هذا التحول هو مثال الجماعات الناطقة بالعربية في الاتحاد السوفيتي : فباسم جعل العربية لغة ديمقراطية كتبها السوفييت بأحرف سيرلية (العامية طبعا) وبهذا انجز السوفييت، كما تقول باتيسون في كتابها « تشعيب هذه المجموعات، وقطعها تماما عن القومية العربية، وعن نصيب من الثراء الثقافي القديم والجديد » (٣٩) .

٣ ــ مرحلة الوعي العربي :

تبدأ هذه المرحلة بفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، اذ بدأت الدول العربية تأخذ استقلالها ولو شكليا من الدول المستعمرة. لقد واجهت تلك الدول مشكلات جمة، منها مشكلة ازدواجية اللغة لعلاقتها المباشرة في التعليم . وفي هذه الفترة أعيد طرح بعض المقترحات القديمة بالدعوة الى العامية ؛ ثم لبست هذه الدعوة ثيابا جديدة ، فطرح أنيس (٤٠) في عام ١٩٦٠ تعميم احدى اللهجات العربية ــ المصرية ــ كلغة قومية ، وكذلك طرح فريحة (٤١) عام ١٩٥٥ نمطا عاما يتكلمه المثقفون العرب . لكن الاهتمام بدأ ينصب على ما يسمى اصلاح اللغة وتيسير قواعدها . وفي هذه الفترة أيضا نشطت المجامع اللغوية العربية، واجتمعت في دمشق عام ١٩٥٧؛ وكان هناك شبه اجماع على رفض الدعوة الى العامية رفضا باتا، واتخذت التوصيات لتسهيل العربية والرقي بها، ونشرت تلك التوصيات في حينه في مجلة مجمع اللغة العربي السوري (٤٢)

أستطيع القول وبكل ثقة ان الدعوة الى العامية الآن لا تقابل بأكثر

من الاستهزاء في الوسط الثقافي العربي ، ولا اظن أن هناك عربيا يمتلك شيئا من الولاء للعروبة او الاسلام او كليهما يتفوه بتلك الدعوة وذلك لخطرها على الأمة العربية ووحدتها ووحدة تراثها واستمرارية تأثير ذلك التراث . وان كانت الدعوة قد تلبس اثوابا جديدة كثوب اللغة الوسطى او عربية المثقفين فان عمقها معروف وبالتالي لا تختلف عن العامية شيئا وقد ايقن المثقف العربي من ذلك .

والمبدأ العام هو أن كل ما يعارض لغة القرآن وتراث العرب فهو موجه لضرب وحدتهم والتشكيك في هويتهم. ولو نظرنا في الدوافع النفسية للدعاة الى العامية والكتابة باللاتينية لايقنّا اي غيرة تدفعهم للسير في هذا الاتجاه . دعنا ننظر لبعض ما كتب سلامة موسى مثلا تبريرا للدعوة للكتابة بالأحرف اللاتينية ؛ وهذا مقتطف قصير من مقالة نشرتها مجلة شؤون الشرق الأوسط بالانجليزية يقول سلامة :

« لن يفاجأ الكاتب إن طالب العرب في يوم من الايام بالأحرف اللاتينية لكتابة لغتهم . هذا الانتقال ، ان تحقق فلن يؤثر بحياتنا الثقافية والأدبية وحسب ولكنه سيكون علامة لتغيّر في اتجاهاتنا النفسية . سنرحب بالحضارة الصناعية الحديثة بقيمها الأخلاقية والثقافية والروحية . والمشاكل التي تبدو الآن صعبة الحل ستكون اسهل .لن نرفض استعمال الكلمات الاوروبية لكن نتعلق حينها بتراثنا الماضي وكأنه الدعم الوحيد لحياتنا ... » (٤٣)

هل نحن بحاجة لقيم واخلاق وثقافة وروح الحضارة الصناعية الحديثة ؟ هل غيّر اليابانيون لغتهم أو دينهم او مُثل اخلاقهم عندما اصبحوا ينافسون اميركا صناعيا ؟ حتى لو كنا بحاجة لذلك فهل يتم ذلك إن غيّرنا الطريقة التي تكتب بها لغتنا ؟ انه تفكير لا ينقصه شيء من مهارة اخفاء

دوافع أخرى لا يجوز المجاهرة بها .

ان هناك مما اثبتته النظرية اللغوية الحديثة ما يجعلنا نتمسك بفصيح لغتنا، بتضييق الشقة بينها وبين عامياتنا ؛ كذلك هناك في الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة ما يحتم علينا أن نتمسك بالفصيح، والا كُتب لنا التفرق والضياع ، وذلك كله بجانب العوامل الدينية والقومية . وفي هذا الجزء من هذا البحث سأبحث العاملين السابقين وانعكاساتهما على الوضع اللغوي العربي .

لا شك في أن اللغة الواحدة، إن أمكن ايجاد مثل تلك اللغة للكتابة والحديث في البيت والشارع والمدرسة والمكتب، لهو وضع مثالي . لكن هل يمكن ذلك ؟ ان ذلك شبه مستحيل ، اذ ان كل لغة في العالم تواجه وضعا ازدواجيا بشكل او بآخر . لنضرب مثلا في الانجليزية : هل يتكلم الاميركي في تكساس بالطريقة نفسها التي يتكلم بها الاميركي في ماساشوستس مثلا ؟ او الطريقة التي يتكلم بها الاميركي في اوهايو او شيكاغو ؟ ماذا نسمي كلام السود في اميركا مقارنة بالمستوى الكلامي العام للرجل الأبيض الحاكم ؟ ماذا نسمي كلام الكوكني والسكوتلانديين مقارنة بكلام الملكة في بريطانيا ؟ اليس ذلك أشبه بالفصحى والعامية ؟ الا يستطيع الاميركي معرفة مواطنه من اي بقعة في اميركا عندما يتكلم ؟ ان ذلك يحصل في اميركا، البلد الذي تستطيع فيه أن تتكلم من الساحل الشرقي الى الساحل الغربي ببضع ثوان ، وان تراقب نفس البرنامج التلفزيوني الذي يُبث للشعب الاميركي كاملا، وتنتقل اينماشئت دون سؤال او جواب او هوية او جواز سفر او تأشيرة او تصريح . هل يستطيع الأبيض من الطبقة الوسطى في اميركا ان يفهم مواطنه الاسود اكثر مما يستطيع العربي من اليمن أن يفهم العربي في تونس ؟ ان كلام الملكة في بريطانيا، وكلام الرجل الابيض البروتستانتي

الانجلوسكسوني في أميركا ليسا سوى مثيل للفصحى في لغتنا مع فارق العاملين الديني والقومي . وما اللغة الفرنسية التي ينطق بها التلفاز والمدرس في الجامعة والنخبة المثقفة من الفرنسيين الا اللهجة الباريسية التي فرضتها الثورة الفرنسية اثر بيان ثوري واتخذت قرارا باستعمالها والقضاء على العاميات التي كانت تسمى « الباتواز » . لكن هل انتهت « الباتواز » ؟ لا ، لقد بقيت وستبقى لكن المثقف الفرنسي يأبى التحدث بها ليتحدث باللهجة الباريسية عنوان الثقافة الفرنسية .

فالجانب الازدواجي طبيعي اذن وبأية لغة ؛ لئن كان هناك أي فرق بين ازدواجية اللغة العربية واللغات العلمية الاخرى كالانجليزية والفرنسية ، فانه فرق كمي اذ ربما كانت الفجوة وما زالت أضيق بين الفصحى والعامية في تلك اللغات مما هي في العربية . وما ذلك الا بسبب عمل القوانين الطبيعية للتغير اللغوي .

من طبيعة اللغة أن تتغير إن تُركت دون ضوابط . وهذا التغير قد يؤدي بفعل عوامل متعددة الى خلق لغة جديدة . وهذا كان من الممكن أن يحصل للعربية لولا العوامل الدينية والقومية السالفة الذكر التي احتفظت بالفصحى وبوحدة اللغة . وهذا الاحتفاظ قد زاد اثراءها وسعة ثقافتها ودوام عطائها للوحدة، وهذا جانب تحسدنا عليه الشعوب الأخرى . ولأوضح هذه النقطة دعني أسأل هذا السؤال :

تُخيَّلْ ماذا كان يمكن أن يحصل لو رفعنا اللهجات لمستوى اللغات القومية وكتبناها ؟ وللاجابة عن هذا السؤال أود أن أستشهد بعبرة تاريخية يجب أن تبقى في أذهاننا كلما طلع صوت ناشز ينادي بالعامية في وطننا العربي .

ومثالي هو اللغة اللاتينية واللغات الرومانية Romance Languages

وكانت اللاتينية هي لغة الأدب والعلم والثقافة والدين في أوروبا في أول الامبراطورية الرومانية ؛ ومن لم يلق نصيبا من العلم في هذه اللغة يبقى علمه ناقصا، بالتغاضي عن حقل تخصصه أو وظيفته أو مكانته الاجتماعية. وبمرور الزمن تطور نمط اخر من اللاتينية يتكلمه العامة وعساكر الرومان، فأصبح الوضع موازيا للعربية، اذ كان هناك اللاتينية الفصحى Classical Latin والعامية المسماة Vulgar Latin ، (والاسم لا يعني العامية فقط بل يتضمن معنى السوقية وعدم الصقل) . وبالرغم من أن اللاتينية ذات أثر كبير دينيا، الا انها لا تملك قدسية العربية في نفوس الناطقين بها ؛ كما لا تلعب دور العربية بوحدة متكلميها ؛ لذا ترك الأمر لتطورها الطبيعي . وباختلاط جنود الرومان ، متكلمي العامية، بالشعوب الأخرى الذين يتحدثون لغات مختلفة ، أو لهجات من لغات مختلفة، تطور من العامية ــ وهذا نسق طبيعي ــ لغات جديدة تعتمد على الجذور اللاتينية كأساس، والمؤثرات اللغوية الأخرى كعوامل مكونة . وهكذا كانت ولادة الفرنسية والاسبانية والبرتغالية والطليانية والرومانية . وان قلّ الضبط عن اي من تلك اللغات فلا يستبعد ، بل من الطبيعي أن ينشأ عنها لغات جديدة . وهذا حتما ما كان سيحصل لأي لهجة عربية لو كُتبت او اصبحت لغة قومية .

في الحقيقة لقد حصل ذلك التحول باحدى اللهجات العربية، وهو مثال حي أمام أعيننا وقلما نفكر بجدّيته وعقبى نتائجه ؛ وهو مثال مالطا : فقد كان أهل مالطا يتكلمون العربية، ونظرا لانسلاخها دينيا وقوميا عن جسم العالم العربي، فقد كتبت هذه اللغة بالأحرف اللاتينية، وفتح باب الاقتراض على مصراعيه من اللغات الأوروبية، وخاصة الطليانية والانجليزية، وتطورت هذه اللهجة العربية الى ما يسمى اليوم اللغة المالطية ، التي تتحدى اي عربي أن يفهمها، رغم أن جل الكلام فيها عربي الجذور . كيف نتعامى عن مثل

هذه النتائج الحتمية ؟ هل يعرف دعاة العامية أمثلة من هذا النوع ؟ هل درسوا أو اطلعوا على النظرية اللغوية والتغير اللغوي قبل أن ينصبوا أنفسهم مصلحين ؟اني استبعد ذلك .

اذا كان وضع الازدواجية طبيعيا في معظم لغات العالم ، فلماذا يكون هذا الوضع «غيرطبيعي» أو عائقا للتقدم في بلادنا العربية؟باعتقاديان ذلك يعود لسببين رئيسيين : أولهما ازدياد الفجوة بين الفصحى واللهجات نتيجة العوامل التاريخية السالفة الذكر حتى أصبحتا وكأنهما لغتان مختلفتان في أعين كثير من الباحثين ؛ ومع المبالغة بذلك الاختلاف أصبح الكثير يعتقد أنهما مختلفتان فعلا . وثانيهما أنه رغم استقلالنا كدول وتبني اللغة العربية رسميا وشعبيا ، الا أن اعتمادنا على اللغات الأجنبية في القطاعات المختلفة ما زال واسعا . وسأعرض لهذين السببين بمزيد من التفصيل .

لقد بالغ كثيرون من الذين كتبوا عن العربية في الغرب بالاختلافات بين الفصحى والعامية حتى أن كثيرا من التعميمات التي نشرها بعض باحثيهم المحترمين علميا تثير الاستغراب بل تشكك بنوايا ومقدرة هؤلاء الباحثين.

فاللغوي الاجتماعي جمبيرز (٤٤) على سبيل المثال يساوي بين دور العربية الفصحى في المجتمع العربي ودور اللاتينية في أوروبا العصور الوسطى والسينسكريتية في جنوب آسيا ويعطي اللغات الثلاث ــ بما فيها العربية ــ « كمثال للغات مميزة ليس لها علاقة بالكلام الشعبي (اللهجات) ... وان الطقوس المفصلة والمراسيم التي تحيط استعمالها لا تُكتَسب الا بعد سنين عديدة من التدريب الخاص . التعليم بها متوفر فقط بواسطة المدرسين الخاصين ومحدود لأصحاب الامتيازات القلائل الذين يملكون الجاه الاجتماعي والموارد المالية . نتيجة ذلك ، فمعرفة تلك اللغات في المجتمعات التقليدية حصر لجماعة مختارة محدودة نسبيا » .

هل يصدق هذا التعميم على العربية كما يصدق على اللاتينية والسينسكريتية ؟ هل يدلّ هذا التعميم على اي اطلاع على العربية ؟ دعنا نقارنه بما يقول اللغوي الاميركي مايكل بريم (٤٥) الذي درس العربية واجادها وكتب اطروحته عن صوتياتها كما سجلته أمهات الكتب العربية. يقول بريم :

« ان المدعي بأن الفصحى نمط اصطناعي (بمعنى أنه غير طبيعي من ناحية ان الطفل لا يتعلمه كلغة أولى) فانما يكشف عن جهله . ان الاختلافات التي تفرق بين الفصحى والعاميات المختلفة قد بولغ فيها . في الحقيقة ،ان المشكلة الحقيقية الصعبة الوحيدة التي يواجهها العربي في الفصحى هي مشكلة تزويد الحركات في اواخر الكلمات للأسماء ونهايات الافعال، لانه من المفهوم ان ليس من تلك الحركات شيء في لهجته » .

كيف بنا ان نرد الاعتبار الى فصيح لغتنا ؟ وكيف بنا ان نضيّق الفجوة بين فصيحنا وعامياتنا، وبذلك تقترب عامياتنا من بعضها البعض ومن الفصحى ؟ في الجزء التالي من هذا البحث سأجيب ولو جزئيا عن هذين السؤالين، واتركهما مفتوحين للاجتهاد لكل من دعاه واجبه للنهوض بالعربية.

لا ريب في ان اهم مسببات اتساع الفجوة بين العامية والفصحى، بل من اهم اسباب ازدهار العامية، هو ارتفاع نسبة الأمية في مجتمع ما . والرقم في مجتمعنا العربي معيب اذ يقارب ، ان لم يتجاوز، ٧٠٪ . وبعكس ما اشار اليه بعض الباحثين أمثال الن كي (٤٦) ووكسلر (٤٧) : لا نستطيع ان نعزو ارتفاع نسبة الأمية في الوطن العربي الى الازدواجية ، بل نستطيع ان نستنتج أن ارتفاع نسبة الأمية زاد الفجوة اتساعا بين الفصحى والعامية، وليس بأي حال نتيجة له . ان هذه النسبة العالية في عالمنا العربي هي نتيجة مباشرة لخمسة قرون من الاهمال تبعها فترة من

الاستغلال الاستعماري البشع كان هم المستعمر فيه تجهيل الشعوب العربية . لكنه بعد الاستقلال ، وبهذه الواردات المادية التي تفوق تخيل الانسان فانه لم يعد هناك مبرر لمثل هذا الرقم المعيب من الأميين في العالم العربي . وعلى حكوماتنا العربية ان تبدأ بحملات واسعة النطاق لازالة الأمية في وطننا من شرقه الى غربه . وجدير بالذكر أن من أنجح الحملات التي بدأت فعلا هي تلك التي تقوم بها الحكومة العراقية حاليا والتي يظن أنها ستقارب أنجح الحملات العالمية لازالة الأمية كالحملة في كوبا وتركيا . ومن المنتظر أن يكون عطاء الدول المنتجة للنفط أكبر مماهو عليه الآن في هذا السبيل . وجميع الدول العربية بأمس الحاجة لتلك الحملات ، لكن أحوج تلك البلاد الآن هي السعودية ، واليمن ، وعمان ودول الخليج ، والسودان والمغرب .

منطلقنا الثاني يجب أن يكون المدرسة العربية . لن نحقق اي تحسن في هذا السبيل الا اذا التزم المدرس العربي بلغته ؛ والتزامه يحتم عليه أن يستعمل الفصحى في محاضراته ، وأن يشجع تلاميذه للسؤال والمناقشة بالفصحى ان كان الدرس دينا أو فيزياء أو رياضيات أو جغرافيا . كذلك يجب التركيز على المراحل الأولى من تدريس الفصحى وآدابها وذلك بتدريب معلمين اكفياء لتدريس مختلف المهارات اللغوية من استماع وكلام وقراءة وكتابة . ولا يتسنى ذلك الا اذا تعاون البيت مع المدرسة ، والمؤلف مع المدرسة والمجمع اللغوي مع المدرسة .

كما انه لا يكفي لعمل ذلك أن تصدر القرارات ، بل يجب ان تراقب الهيئات المعنية مختلف مراحل تطبيقها وتنفيذها .

ولا يقلّ عمل أجهزة الاعلام اهمية عن المدرسة والبيت . لا نريد أن نحرم قطاع عامة الناس من فهم تلك الاجهزة ، ولكننا نطالب بأن يقل

استعمال العامية في الصحف والمجلات، وان توجه لعامة الناس برامج الاذاعة ، والتلفاز بلغة فصيحة سليمة سهلة . وكلما قل استعمال الكلمة العامية في تلك الأجهزة ، وكثر استعمال الفصيح، اعطينا مجالا أوسع لانتشار الفصيح واضمحلال العامية على المدى البعيد .

اما المجامع اللغوية العربية فعليها، بالاضافة الى نشاطها في التعريب، وخاصة تعريب المصطلحات، ان تراقب استعمالها في أجهزة الاعلام والمدارس والجامعات ، وان تستمر بتفاعلها المباشر مع المجتمع ومع المؤسسات التعليمية في البلاد العربية، لتكون مراكز تخطيط لغوي لمجتمعنا ومؤسساتنا، وان تستمر بتقديم يد العون وتقديم المشورة الى وزارات التعليم ومختلف الهيئات التي تطلبها .

ان ما قدمته تلك المجامع يستحق التقدير ، لكن المزيد من العمل مطلوب . نقطة أخيرة ؛ فان زيادة التنسيق بين هذه المجامع يجعلنا نتجنب اعادة بعض الأبحاث، ويزيد من فعاليتها بشكل عام .

اما تسهيل الاتصال ، وبمعناه المطلق، في العالم العربي فليس مدعاة لوحدتنا العربية وحسب، بل مدعاة لتماسكنا السياسي والاجتماعي . وتسهيل الاتصال يتم بتطوير أجهزة الاتصال الحديثة، من الشبكات التلفزيونية، الى البث التلفازي والاذاعي الموجه للعالم العربي بأسره ؛ كذلك بتسهيل تنقل المواطن العربي من بلد لآخر، وفتح أبواب التبادل ثقافيا واقتصاديا على مصراعيها . هدف اللغة هو الاتصال، ووحدة متكلميها تتم بتسهيل اتصالهم بعضهم ببعض .

من أهم الأسباب التي ادت الى ازدهار تعلم اللغات الأجنبية في العالم العربي، وبشكل خاص الانجليزية والفرنسية، لا شك اسباب تتعلق بفرص العمل . اذ انه لسوء حظ المواطن العربي ، يصعب عليه حتى في عقر داره أن يجد

عملا جيدا، خاصة في القطاع الخاص، اذا لم يكن يجيد الانجليزية او الفرنسية. لماذا نجعل لتلك اللغات تلك القيمة على لغتنا طيعين مختارين ؟ لماذا نجعل تلك اللغات علامة الرفعة الاقتصادية والاجتماعية، وتؤثر بذلك باتجاهات ابنائنا النفسية لتلك اللغات وللغتنا بالمقارنة بها ؟ فجعل العربية عاملا اساسيا في التوظيف والترقية يولّد دوافع جديدة للاقبال على تعلمها واجادتها، ويخلق تأثيرات نفسية جديدة نحن احوج الناس اليها . لا اقصد ان اقلل التشجيع على تعلم اللغات الأجنبية ، لكن يجب أن نخفف اعتمادنا عليها ونجعل نظرتنا لها متواضعة بعض الشيء .

يرتبط هذا العامل بعامل آخر وهو ما أسميته « الغربة الحضارية » عند المواطن العربي ؛ فبالرغم من الاحداث الجسام التي تعيشها امتنا العربية، وبالرغم مما قاست وتقاسي من الغرب ودوله وثقافته و«حضارته»، الا اننا ان اردنا ان نصارح انفسنا وجدنا أن قطاعا كبيرا من شبابنا يقاسي من غربة حضارية مريرة، تتجلى بتهافت شبابنا على « الغربنة » المتمثلة بالنظر للغرب على انه النموذج الذي يحتذى . كذلك تتجلى هذه الغربة بنظرة مجتمعنا العالية لمن يجيد احدى اللغات الغربية، وبتهافتنا على استعمال الاصطلاح الأجنبي في حديثنا العادي وفي صحفنا واجهزة اعلامنا. ان ذلك ما أسماه ابن خلدون في مقدمته تقليد المغلوب للغالب . لكن اما آن الاوان لأن تتوقف هذه الظاهرة، ونبدأ كشعوب نعتز بلغتنا وحضارتنا ! .

العربية تستصرخ ابناءها لمزيد من البحث والتأليف والنشر، وخاصة في حقل المعاجم ؛ اذ يأسف المثقف العربي أن لا يكون في العربية حتى الآن قاموس واحد بجودة وشمول ووضوح وسهولة استعمال «وبسترز» في الانكليزية مثلا . كذلك حتى هذه اللحظة لا توجد دائرة معارف واحدة بمستوى دائرة المعارف البريطانية او الأميركية. لذلك تحتاج العربية

الى مجموعة شاملة واضحة حسنة التصنيف من معاجم المترادفات والمتناقضات والمكنزات والمواد المرجعية الأخرى . وقد قام سلفنا بالبحث وحصر المعلومات، وما علينا الا أن نصنف تلك المعلومات ونطبعها . انه وضع مؤسف .

أما تعريب التعليم الجامعي ، فليس ضرورة ومطلبا قوميا فحسب ، انما هو خدمة نزجيها للعربية، بل لأبنائنا الواقعين الآن بين نارين ، نار جهلهم بلغتهم، ونار صراعهم مع اللغة الأجنبية التي لا يجيدونها، ومع ذلك عليهم أن يتعلموا بها . ليس هناك على وجه الأرض دولة ذات قيمة تدرّس أبناءها بلغة غير لغتهم . فمن البديهيات في التعليم أن الطالب يستوعب بشكل أفضل، ويفكر بشكل اسلم في لغته الأم لا بلغة فرضت عليه، ولا يتم ذلك الا اذا بدأنا به وبالحال ؛ اذ سيبقى دعاة استعمال الأجنبية يبرزون الحجة تلو الحجة لتأخير التعريب، وسيجدون دائما حججا مقنعة ما لم نبدأ بالتعريب . كيف يمكن أن يكون هناك مصادر علمية بالعربية ما لم نخرّج جيلا عربيا تعلّم بالعربية كي يبحث وينشر بها ؟ لماذا لم نبدأ بحملة ترجمة شاملة للكتب المدرسية العلمية، وهي بالواقع محصورة العدد وليست بذلك الحجم البالغ الذي يصوره بها اعداء التعريب ؟ اذا أخذنا الكيمياء مثلا ، فانك تجد كتابا واحدا مشهورا عالميا ككتاب مدرسي، ويستعمل في مستوى معين ــ كالسنة الأولى أو الثانية مثلا ــ وفي كثير من الأحيان نجد ان هذا الكتاب قد أعيدت طباعته مرات ومرات، وبتعديلات طفيفة تستطيع اضافتها لترجمتها سنويا. ان الكلام سيطول عن التعريب، وسنبقى نعاني نفس المشاكل التي نتحدث عنها ما لم نبدأ وبالحال بتحضير جيل يتعلم في الجامعة وفي أعتقد العلوم بالعربية . والتجربة السورية ، وكذلك التجربة العراقية الجديدة جديرتان بالاعجاب والتقدير .

في ختام هذا البحث ، أود ان أوجه الدعوة الى المثقفين العـــرب ، والمختصين منهم أو العاملين في حقل اللغويات وتدريس اللغات بشكل خاص، لابداء آرائهم وتوجيه بحوثهم نحو مزيد من الاقتراحات العملية الممكنة التنفيذ، التي تهدف الى اعادة الاعتبار للغتنا العربية لغة رسمية وشعبية للعالم العربي، لا بالاسم بل بالفعل .

يقول العقاد (٤٨) في مقالة له عن الفصحى والعامية ، وفي ما يقـــول عمـــق بالتفكير، وملخص لكثير مما قيل ويقال عن هذا الموضوع، لولا بعض كلام عن العامية تنقصه العلمية (كقلة القواعد) :

« ان في كل أمة لغة كتابة ولغة حديث، وفي كل أمة لهجة تهذيب ولهجة ابتذال، وفي كل أمة كلام له قواعد وأصول ، وكلام لا قواعد له ولا أصول. وسيظل الحال على هذا ما بقيت لغة، وما بقي ناس يتمايـــــزون في المدارك والأذواق . فلن يأتي اليوم الذي يُكتَب فيه فردوس ملتون بلغة العامـــــل الانجليزي ، وفلسفة كانت بلغة الزارع الالماني، ولن يأتي اليوم الذي تستوعب فيه قوالب السوق كل ما يخطر على قرائح العبقريين، ويختلج في ضمائـــر النفوس، ويتردد في نوابـــــغ الأذهان، فالفصيحة باقية والعامية باقيـــــــة مدى الزمان !

الدكتور محمد راجي زغول

المصـــادر العربيـــة

المصادر الاجنبيـــة

1 - Karl Krumbachen. **Das Problem der modern griechischen Schriftsprache.** Munich, 1902.

2 - William Marçais "La diglossie arabe" **L'enseignement Public,** Vol. 97, 1930.

3 - C. Ferguson. "Diglossia."

٤ ــ المصدر نفسه ، ص. ٣٢٨

٥ ــ المصـــدر نفسه .

6 - D. Hymes. "Introduction to Social Structure and Speech Community." In D. Hymes (ed.), **Language in Culture and Society.**New York: Harper and Row Publishers, 1964, 385-390.

7 - J. Gumperz. " Types of Linguistic Communities"

اخص بالذكر منها :

------- "Linguistic and Social Interaction in. Two Communities"

------- "On the Ethnology of Linguistic Change"

------- "The Speech Community"

بحث فشمان ظاهرة الازدواجية في مؤلفات كثيرة أخص بالذكر منها :

8- a - J. Fishman etal (eds.) **Language Problems in Developing Nations**

b - -------**The Sociology of Language**

c - -------**Language and Nationalism**

d - ------- **Readings on the Sociology of Language**

9- A. Kaye. "Remarks on Diglossia : Well - defind Vs. III - defined"

وله مقالة اخرى جديرة بالدراسة هي :

------- "Modern Standard Arabic and the Colloquials."

10- Sotiropoulos. "Diglossia and the National Language Question in Modern Greece", **Liguistics,** 197 (1977) pp-5-31.

11- Inayatullah "Arabic as the Religious Language of the Moslems."

12- A. Chejne. **The Arabic Language :** Its Role in History p.9

13- P. Cachia "The Use of the Colloquial in Modern Arabic Literature.", p.12

١٤ ــ ذكر الحصري وركز على هذه الناحية في معظم مؤلفاته واخص بالذكر منها **آراء واحاديث في اللغة والادب** و**ابحاث مختارة في القومية العربية** .

15- R. Yorkey. "Practical EFL Techniques for Teaching Arabic Speaking Students" p. 59.

16- C. Ferguson "Myths About Arabic" p.377

١٧ ــ د. محمود فهمي حجازي . **اللغة العربية عبر القرون** ، ص ٤٣ ــ ٤٤

١٨ ــ صبحي الصالح ، **دراسات في فقه اللغة** ص ١٠٩ ــ ١١٦

١٩ ــ ابن جني ، **الخصائص** ج ١ ص ٤١١

٢٠ ــ السيوطي ، **المزهر** ج ١ ص ٢٢٢ ــ ٢٢٤

21- Z. Abdel-Malek. "The Influence Diglossia on the Novels of Yusif Al-Sibai" p. 132

٢٢ ــ مازن مبارك ، **نحو وعي لغوي** ص ٤١ ــ ٤٤

٢٣ ــ علي ناصيف ، **من قضايا اللغة والنحو** ص ٤٩

٢٤ ــ طه حسين ، **مستقبل الثقافة في مصر** ص ٢٣٦

٢٥ ــ مصطفى فهمي ، **النظرية العامة للقومية العربية** ص ١٥٠

26- S. Al-Toma. **A Comparative Study of Classical and Iraqi Arabic,** p. 114.

27- H. Blank. "Stylistic Variation in Spoken Arabic: a Sample of Interdialected Conversation," 1960

28- K. Shaaban. "Code Switching in the Speech of Educated Arabs,: 1978.

29- M. Zughoul "Diglossia in Arabic: Investigating Solutions", 1979.

30- J. Stetke cych. **The Modern Arabic Literary Language : Lexical and Stylistic Development,** 1970.

٣١ — نفس المصدر ص. ١١٤

٣٢ — المصدر نفسه ، ص ١١٩ — ١٢٠

33- N. Bezirgan "Language and Reality in The Arab World" p.24

٣٤ — لمزيد من التفصيلات راجع كتاب نفوسة سعيد ، **تاريخ الدعوة الى العامية وآثارهـا في مصر** ، فهو كتاب شامل وموثق في هذا المجال .

٣٥ — محمد حسين ، **الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر** ص ١٢٤ — ١٤٤

٣٦ — أحمد لطفي السيد ، **المنتخبات** ص. ٢٤٦ — ٢٥٠

37- A. Shej ne **The Arabic Language : Its Role in History,** p. 109

٣٨ — نفس المصدر ص. ١٠٩

39- M. Bateson. **Arabic Language Handbook**

٤١ — ابراهيم أنيس ، **مستقبل اللغة العربية** ، ١٩٦٠

٤١ — أنيس فريحة ، **نحو عربية ميسرة** ، ١٩٥٥

٤٢ — مجلة المجمع العربي مجلد ٣٢ ، عددا ، ١٩٥٧

43- S. Moussa. "Arabic Language Problems" p. 44

44- J. Gumperz "The Speech Community", p. 222

45- M. Brame, **"Arabic Phonology"** p. 1

46- A. Kaye. "Modern Standard Arabic and the Colloquials".

47- Wexler. "Diglossia, Language Standardization and Purism".

٤٨ — العقاد ، **ساعات بين الكتب** ص. ١٤٥ — ١٤٦